السرطان والمرأة

للدكتور فيليب الدبس
كلية الطب بجامعة بيروت الاميركية

— ١ —

أقدم هذه الصفحات المختصرة إلى طبيب العائلة أولاً والى مرضاه من السيدات ثانياً

أما الطبيب الاختصاصي فله من اختباره وما يجده في المؤلفات المطولة وبطالعه في الجرائد الطبية ما يغنيه عمَّا فيها من الحقائق الاولية والعامة . والقصد من تقديمها الى طبيب العائلة تذكيره بما هو معروف لديه وتوجيه نظره إلى كل ما يتعلق بسرطان الرحم في أدواره الاولى كي يدقق في الفحص ويشجع النساء على مراجعته عند ظهور الاعراض الاولى في أعضائهن

وقد بذلت الجهد أن ابسط هذه الاوليات لكي يفهمها غير الاطباء من الناس فيزول الخوف المتسلط على بعض السيدات من هذا الداء موجهاً عنايتهن الى أن النجاح في محاربة داء السرطان يتوقف عليهن فالجانب الاكبر من هذه الاورام الخبيثة اذا عرف باكراً وعولج علاجاً تامًّا كان الشفاء منهُ تامًّا ولا يمكن أن يتعاون المريض والطبيب في شفاء علته ما لم يعلم المريض ولو بعض العلم شيئاً عن المرض وهذا ما حدا بي الى كتابة هذه الصفحات

— ٢ —

لممارسة الطب وجهتان فردية وعمومية . فمن الوجهة الفردية يقصد الطبيب طبيبه بشكو علة ما فيفحصهُ الطبيب ولا يترك وسيلة الاَّ ويستعملها ليصل الى معرفة اصل الداء وحل جميع اسراره ليتمكن من معالجته حسبما يقتضيه الفن وحسبما يوحي اليه ضميره واجتهاده

اما الوجهة العمومية فهي درس سبب المرض وطرق انتشاره واستعمال الوسائل الفعالة التي تمنع تفشيه . وفي كل حكومة من حكومات العالم دوائر تعنى بدقائق هذه الامور ويفضل هذه

المعرفة اصبح أكثر مدن العالم المتمدن خالياً من الاوبئة والامراض المعدية

والتعاون بين الطبيب الذي يمارس صناعتهُ من الوجهة الفردية وادارة الصحة العامة ضروري جدًّا وبفضل هذا التعاون اصبح بعض الامراض نادر الوقوع والبعض الآخر منحصراً في نطاق لا يتعداه والشعب هو الذي يستفيد من هذا التعاون . وقد غدا للرأي العام قيمة كبرى في مكافحة الامراض وهذا حمل الدوائر الصحية المختصة على إثارة الرأي العام بما تنشره بين الناس من المعلومات عن الامراض وعن كيفية الوقاية منها

من الامراض التي يعالجها الطبيب بكثرة وتعنى بدراستها الاوساط العلمية والدوائر الحكومية في العالم اجمع درماً دقيقاً داء السرطان. وذلك لانهُ كثير الشيوع وعدد الوفيات به تعد كل سنة بالالوف. وهذا الداء لا يزال في منطقة الطبيب المعالج فدوائر الصحة العامة لا تعمل الاَّ في تسهيل وسائط معالجته ومساعدة الاوساط العلمية مساعدة مادية وأدبية للوصول الى حقيقة هذا المرض وسببه ووسائل تجنبه وطرق معالجته

وبفضل هذه الجهود قد توصل الخبراء الى حقائق كانت مجهولة مع ان سبب الداء لم يزل سرًّا من الاسرار

***

ومن هذه الحقائق أن السرطان اذا عرف في أوله وعولج علاجاً تامًّا كان الشفاء منه أكيداً فمكافحة السرطان في الوقت الحاضر تنحصر في أمرين: الاول: أن يفحص الفرد فحصاً عامًّا في فترات معينة . والثاني : أن يكون الطبيب ممن يقدر أن يشخص المرض باكراً. وهذا أمر عسير اذا كان السرطان في الأعضاء الداخلية. ولكن اذا أصاب الاعضاء الخارجية فتشخيصه في أدواره الاولى ليس أمراً عسيراً . ومن الاعضاء التي تكثر اصابتها بالسرطان الرحم في النساء. ولما كان هذا العضو مما يسهل فحصه فحصاً دقيقاً كان في وسع الطبيب الخبير بالامراض النسائية أن يشخص الداء في بدئه . هذا اذا جاءت اليه المصابة حال شعورها بتغيير في أعضائها

وحسبنا إثارة الرأي العام عن هذا الداء وحثًّا على استشارة الطبيب عند ظهور الاعراض الاولى أقدم هذه الرسالة على أمل أن يتعاون الطبيب ومرضاه لمعرفة الداء في ابتدائه ومعالجته علاجاً أكيداً وبذلك ينقص عدد الوفيات بداء السرطان العضال

— ٣ —

﴿ داء السرطان ﴾ الجسم الانساني مجموع أعضاء مركبة من أنساج مختلفة وهذه مركبة من خلايا تختلف بعضها عن بعض باختلاف الانساج ولهذه الخلايا أعمار تقوم في أثنائها بواجبها ثم

تموت ويعوض عنها بخلايا أخرى وذلك بفضل خاصة الانقسام التي تتحد بواسطتها الخلايا ويتركب منها النسيج . وهذا الانقسام له قوانينه وأنظمته يسير دائماً بموجبها . غير أن بعض الخلايا في بعض الانسجة ينقسم ويتكاثر خارج الحدود الطبيعية

وهذا الانقسام والتكاثر يولدان ورماً يعرف بالسرطان . فالسرطان إذن ، مرض في خلايا الجسم فتكاثر الخلايا وتنمو نمواً غير سوي فيسبب هذا التكاثر تسمماً عاماً في الجسم أو تترك الخلايا مقرها الاول وتجري في الاوعية الدموية أو الليمفاوية وتستقر في محل آخر حيث تتكاثر وتنمو وهذا ما يجعل الداء إذا لم يعالج في أول الامر صعب الشفاء أو مستحيله ويؤدي حتماً الى موت المصاب به . أما السبب الرئيسي الذي يجعل هذه الخلايا على أن تنمو وتتكاثر فلم يزل مجهولاً غير أن هناك في بعض الاعضاء أسباباً مهيئة تجعل وقوع السرطان فيها أكثر احتمالاً من سواها وهذه الاسباب هي النسيج بأنواعه في الانسان وقد يكون هذا النسيج التهابياً او كبياوياً او رضياً . وأكثر الاعضاء عرضة لتأثير هذا النسيج ما كان منها بين نسيجين متقاربين — خلايا النسيج الواحد تتقارب شكلاً كلما قربت من خلايا النسيج الآخر كالغشاء المخاطي القريب من النسيج الجلدي كما في الشفتين ، وغشاء الرحم المخاطي حيث يتصل بغشاء المهبل المخاطي وغشاء المعدة المخاطي حيث يداني غشاء الاثني عشري المخاطي وهلم جرًّا

***

﴿ معنى كلمة سرطان ﴾ أول من وصف هذا الداء طبيب يوناني وسماه سرطان لان الاوعية الدموية التي كانت منتشرة حول الورم الذي وصفهُ تشبه أطراف هذا الحيوان . وقد قبل أطباء الرومان هذه التسمية غير أنهم أعطوه الاسم الروماني لهذا الحيوان وهو السرطان . وهذا هو الاسم الذي يعرفهُ العامة ويستعمله الاطباء عندما يتكلمون عن هذه الاورام الخبيثة . أما في الاوساط الطبية الخاصة فتستعمل مصطلحات يستدل منها على تركيب الورم الباثولوجي أي نوع الخلايا التي يتألف منها هذا الورم

***

﴿ أنواع السرطان ﴾ يسمي الاطباء السرطان باسم الانسجة والخلايا المركب منها . فان كان من الابثليوم سمي « ابثليوما » والابثليوم موجود في الجلد وغشاء الفم والحلق والمريء والمثانة وعنق الرحم . وان كان من الغدد سمي « الاندوتليوما » كسرطان الثدي والغدة الدرقية والمعدة والامعاء والبانكرياس والكبد والكليتين والبروستات وقبيلين وجسم الرحم . وقد يكون السرطان مركباً من الغدد ومن الابثليوم

أما نوع السرطان المعروف بالساركوما فيصيب العظام والغضاريف والنسيج الدهني والعضلات والنسيج الليفي والليمفاوي وما شاكل

وسرطان الجهاز العصبي معروف باسم كلايوما وفي الاورمة الخبيثة قد يكون السرطان مركباً من عدة أنساج وخلايا

قلنا سابقاً ان السرطان مركب من خلايا تتكاثر وتنمو بصورة غير طبيعية غير مفيدة بقانون التقاسم متعدية النظام السوي. وهذا التكاثر ان لم يعالج باكراً ادى الى موت المصاب. وهو درجات فمن الخلايا ما ينمو بسرعة عظيمة ومنها ما ينمو ببطء كلي لايشعر صاحبه بوجوده حتى ولو كان ظاهراً للعيان. ومما يلاحظ في تكاثر هذه الخلايا ان البعض منها بانقسامه يبقى مشابهاً للخلية الاصلية والبعض الآخر يختلف عنها كل الاختلاف . ومن هذا القبيل يمكن ان يقسم السرطان الى اربع درجات او أربعة أنواع

القسم الاول ما كانت خلاياه مشابهة للخلية الاصلية وهذه يكون نموها محدوداً وهذا النوع اقل الانواع خبثاً واقلها استعداداً للوصول الى الاعضاء البعيدة بواسطة الدم والاوعية الليمفاوية

الدرجة الرابعة حيث تكون الخلايا المركب منها الورم السرطاني عديمة الشبه بالخلية الاصلية وهي سريعة التكاثر والانقسام والانتشار وكثيراً ما تسير بواسطة الاوعية الدموية والليمفاوية الى الاعضاء المجاورة حتى والبعيدة كذلك

وبين هاتين الدرجتين نوعان النوع الثاني يقارب النوع الاول والنوع الثالث يقارب النوع الرابع. وهذه الانواع او الدرجات لا يعرفها الا الطبيب الخبير المدقق في التشريح الباثولوجي وأهمية معرفة هذه الدرجات هي معرفة انذار الداء ومبرء وتأثير العلاج فيه فالنوع الاول مثلاً بطيء النمو قابل للشفاء بعكس النوع الرابع

— ٤ —

سرطان الرحم

ان السرطان في النساء اكثر ما يصيب رحمهن وهو سبب وفاة العدد الكبير منهن كل عام وقد لوحظ ان معدل الوفيات بالسرطان بين ٤٥ — ٦٥ من عمرهن يقارب عشرين بالمائة الثلث منها اصابت في الرحم . والسرطان يصيب عنق الرحم وجسمه بمعدل ثلاثة

في علاقة السرطان بالعمر سرطان عنق الرحم اكثر ما يصيب النساء في العقد الثالث فما فوق وهذا لا يعني ان من كان سنهن اصغر سناً لا يصبن بالسرطان بل رحمه في ابدا

الثاني فما دون ليس كثير الحدوث . وسرطان جسم الرحم يصيب المرأة بعد ان يتقضى الثلث اي في العقد الرابع فما فوق

﴿علاقة السرطان بعدد الولادات﴾ من المشاهدات السريرية (الكلينيكية) ان السرطان اكثر ما يصيب النساء اللواتي حملن وولدن اولاداً وكما ازداد عدد الولادات ازداد الاستعداد لوجود السرطان ولكن ليست الولادات بحد ذاتها هي التي تهيء الاسباب لوقوع السرطان بل التمزق والالتهابات الموضعية التي تحدث على اثر هذه الولادات

﴿علاقة تمزق والتهاب العنق بالسرطان﴾ ليس هناك براهين قاطعة تمكننا من الجزم بأن السرطان يبتدىء اولاً في ندبة جرح قديم في عنق الرحم فالسرطان عند ما يظهر بوضوح يكون قد مرّ على ابتدائه زمن ماحتى ليصعب على الفاحص ان يعرف اين كانت بدائته . ولكن من الاختبار السريري (الكلينيكي) يمكن الترجيح بان التمزق والالتهاب في عنق الرحم يمهدان للتغيرات الهستولوجية التي تفضي الى نشوء الاورام السرطانية . وهذه المشاهدات شاهدها الكثيرون من الاطباء الذين يعالجون الامراض النسائية مع ان سبب السرطان الحقيقي لا يزال مجهولاً يمكن القول — اعتماداً على هذه الاختبارات — بان التمزقات والالتهابات الرحمية قد تؤدي الى نموّ غير طبيعي في الخلايا نتيجة تهيجات مستمرة ومزمنة

هذه هي درجات السرطان الاولى والتهيج المستمر والمزمن في اي جزء من اجزاء الجسم قد يؤدي الى ورم سرطاني . هذه الملاحظة قد أيدها معهد السرطان في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك ومن المهم ان يعرف ان التهيج الموضعي لا يولد سرطاناً بين ليلة وضحاها بل قد مرّ اعوام قبل ان يصل الى الدرجة التي يصبح فيها الشفاء صعباً فسرطان الثدي مثلاً حيث يظهر بوضوح يكون قد مرّ على ابتدائه أعوام لا تقل عن العشرة

﴿علاقة الوراثة بالسرطان﴾ إذا درسنا السرطان من الوجهة الوراثية درساً علمياً لم نجد أدلة صريحة على ان السرطان مرض وراثي ولكن عدة احصاءات تدل على ان السرطان كثيراً ما يقع في افراد العائلة الواحدة فهل يرث الخلف عن السلف الاستعداد للاصابة بالسرطان او يرث الخلية التي مرّ عليها السرطان بسبب ما

لحد الآن لم يتمكن العلماء من الاجابة عن هذا السؤال ولكن الحقيقة الواقعة لا يمكن انكارها

***

(المقتطف) — وفي الفصل التالي يتناول الكاتب الطبيب اعراض سرطان الرحم وتشخيصاً وسيره وعلاجه